متفرقات اجتماعية

أمراض النفس

أكثر أقطار العالم أمراضا نفسية هو الولايات المتحدة الأمريكية . فان نصف الأسرة فى المستشفيات يحتلها مرضى لا يشكون علة جسمية ولكنهم يشكون عللا عقلية أو عصبية مختلفة .

والسبب لهذه الحال ان المباراة للإثراء أو للكسب كبيرة جدا فى الولايات المتحدة . والرأى العام يؤيد هذه المباراة ويدعو اليها بشتى الوسائل فى التربية المنزلية أو التعليم المدرسى أو الحياة الاجتماعية .

وهو ينظر الى التخلف والإهمال نظرة الاستصغار والاحتقار . ولذلك يحرص الشاب والكهل والشيخ على أن يتفوقوا فى مضامير العمل وعلى أن ينشدوا النجاح ، وهو فى جميع الأحيان نجاح مالى . فاذا لم يوفقوا اليه فإنهم يحسون هوانا عظيما يؤدى الى إصابات نفسية . والمباراة بطبيعتها توتر الأعصاب وتبقى الذهن يقظا بالهموم المختلفة المتوالية .

والاعتدال فى الطموح حسن بل هو واجب . أما المبالغة فيه وقضاء الوقت والجهد فى محاولة الوصول الى الثراء أو زيادة الكسب فيفتتان الأعصاب و يقلقان بل يقلقلان الذهن . ومن هنا وفرة الأمراض النفسية بين الأمريكيين . والشرقيون يجدون فى القناعة فضيلة سامية ، وهم يطمئنون الى الحياة الوادعة مع القليل من الكسب الذى يكفى الضروريات . والغربيون ينعون على الشرقيين هذه القناعة . ولكن عندما نعرف أن المبالغة فى الطموح والامعان فى المباراة قد أدى كلاهما الى وفرة الأمراض النفسية بين الأمريكيين يجب علينا ألا نستهين بفضيلة القناعة فى الشرق .

سويسرا

لا تملك سويسرا مستعمرات وليس لها امبراطورية . ومع ذلك يبلغ متوسط الثروة للفرد فيها ٦٢٥ جنيها . فى حين أن متوسط الثروة للفرد فى الولايات المتحدة الأمريكية لا يزيد على ٤١٩ جنيها . والمشهور أن الولايات المتحدة أغنى أقطار العالم بالمواد الخامة والزراعة والصناعة .

والسبب لهذا الثراء العظيم فى سويسرا أن الشعب لا ينفق شيئا الا القليل على القوات الحربية . فإن له جيشا صغيرا لا تزيد فيه رتبة الضباط على " كولونيل" فليس فيه "جنرال" أو " مارشال " ومعظم الأمم الكبيرة تستهلك القوات الحربية ميزانياتها . ولكن سويسرا تجاورها أقطار كبيرة مثل المانيا وايطاليا وفرنسا . وقد رأت أنها مهما تفعل فان تستطيع مباراة هذه الدول فى القوات الحربية ولذلك قنعت منها بالقليل الشكلى .

ومعظم الثروة فى سويسرا يعود الى استغلال جبالها فى السياحة ، والى اتخاذ أبنائها للصناعات الدقيقة مثل الساعات والطوربين والموطور والمنسوجات الدقيقة والزيون والأصباغ والجبن والشكولاته ، والذهن السويسرى خصب فى الاختراع . ففى الولايات المتحدة الأمريكية مثلا تمنح ١٦٠ رخصة اختراع لكل مليون من السكان . ولكن فى سويسرا يبلغ المتوسط ٩٢٠ رخصة لكل مليون من السكان .

والسويسريون يعنون بالادخار . فإن فى مصلحة البريد ٢,٨٠٠,٠٠٠ دفتر للادخار مع أن السكان لا يزيدون على أربعة ملايين . والحكومة تعنى كثيرا بدراسة الاقتصاد الأهلى . مثل ذلك أنه لما حدثت الأزمة العالمية سنة ١٩٣٠ ادت الحكومة اعانة لتصدير الساعات كما منعت إنشاء مصانع جديدة لها ، وكذلك منعت بناء فنادق جديدة لقلة السائحين .

مبادئ ديوى فى التربية

جون ديوى هو أعظم الفلاسفة الأمريكيين . وهو الآن فى الحادية والثمانين من عمره . وقد بلغت مؤلفاته نحو الخمسين أو تزيد . ومعظمها فى التربية ، لأن الرجل معلم قبل أن يكون فيلسوفا . وقد دعته حكومتا تركيا والصين لتنظيم طرق التعليم عندهما . ومعظم التجديد الذى يعزى إلى المدارس الناهضة فى الولايات المتحدة وغيرها انما يرجع إلى تفكيره الذى بسطه فى مؤلفاته المختلفة .

ويرى ديوى أن التربية يجب أن تسترشد بأربعة مبادئ هى :

أولا — يجب أن تكون نموا مستمرا . وأحسن المدارس هى أقدرهن على تنمية التلميذ وعلى تعليمه كيف يستمر فى النمو حتى بعد خروجه منها .

ثانيا — يجب أن يتعلم التلميذ بالاختبار ، أى يجب أن يختبر ما تعلمه كالسباحة يتعلمها الصبى بأن ينزل فى الماء وليس بالتلقى من المعلم أو بدرس الكتاب . ومن هنا قيمة المشروعات التى يقوم بها التلاميذ ويتعلمون فى غضونها وهم يؤدون تفاصيلها .

ثالثا — كل تعليم يحتاج إلى الاهتمام والجهد . فلا يمكن أن نعلم تلميذا شيئا مالم نبعث فيه الاهتمام ونجعله يجهد راضيا لأنه مهتم . وكل تعلم يقسر عليه التلميذ وهو غير مهتم به إنما ينتهى بأن يصير تسخيرا لذهنه سرعان ما ينساه وينفضه عنه التلميذ .

رابعا — المدرسة هى جنين المجتمع . فيجب أن يعيش فيها التلميذ ويتعلم عن طريق المعيشة . ويجب الا تنفصل المدرسة من المجتمع . ولذلك يجب أن تنظم المدرسة بحيث يحس التلميذ فيها أنه عضو عامل فى مجتمع ديمقراطى .

فى مصانع فورد

من أحسن الكتب التى يجب أن يقرأها الشباب كتاب الفه فورد بعنوان "حياتى وعملى" فإن فورد يمثل أحسن ما فى النظام الاقتصادى الحاضر فى العالم كله . وهو يتبع قاعدة إعطاء العمال أكبر مقدار ممكن من الأجور مع خفض الاثمان للبضائع إلى أقل مقدار ممكن . وهو فى كل عام يخفض ثمن اتومبيله . ويقول فى هذا الكتاب إن ٦٠ فى المائة من عماله ينالون اجرا يوميا قدره ٦ دولارات (الآن نحو ١٥٠ قرشا) وأن ٤٠ فى المائة من عماله ينالون أكثر من ذلك . وقد بلغ ما أنفقه من الأجور فى ١٩ سنة ألف مليون جنيه . وهو يستخدم الأعرج والاعمى والاصم بدلا من أن يقيم لهم الملاجئ . فان هناك أعمالا لاتحتاج الى بعض الحواس . وهو يستخدم هؤلاء العجزة فيها ويشعرهم بكرامتهم بما يكسبون .

ومع ان فورد أعظم الرجال الصناعيين فى العالم فان هواه لايزال عالقا بالزراعة . وهو يرى أن المجتمع الامثل يجب أن ينظم العمل الزراعى والصناعى بحيث يمكن كل عامل أن يقوم بهما معا . ففى الصيف يعمل العامل فى الزراعة حيث الهواء المطلق والدفء والصحو فينتفع صحة ورياضة ، وفى الشتاء يعمل فى المصانع لأن الزراعة فى هذا الفصل تبطؤ حركتها ولاتحتاج الا لأقل عدد من العمال . والصناعة تجرى داخل المصانع المدفأة .

وجميع مصانع فورد — وهى تنتشر فى أقطار مختلفة فى العالم — تجرى بالقوة الكهربائية وبأقل مجهود من العمال .

الكتب للجمهور

من العادات المألوفة فى تركيا أن تقتنى القهوات العامة مكتبة صغيرة ليس بها المجلات والجرائد فقط ، بل تحوى أيضا بضع مئات من الكتب الشعبية التى يمكن القاعد الذى قد يطول به الانتظار فى القهوة أن يتسلى بها ويستنير بما فيها اذا سئم الصحف . والمكتبة مع ذلك ليست كبيرة ، اذ هى خزانة صغيرة وليس بها مجلدات ضخمة للدرس وإنما بعض الكتب الصغيرة المسلية المنيرة .

وقد شاعت فى انجلترا مكتبات عامة يشترك فيها الجمهور . ولكن قيمة الاشتراك لا تزيد على ثمانية مليمات (بنسين) فى الأسبوع ، ويمكن المشترك أن يستعير بهذا الاشتراك كتابا قد يبلغ ثمنه نصف جنيه . وتحدث من وقت لآخر سرقات فى هذه المكتبات ولكنها لا تبلغ واحدة فى المائة. لأن المشتركين ينتفعون بالقراءة ويعاملون مكتباتهم بالأمانة والثقة . ولو لم ترج هذه المكتبات لما عاشت . وبقاؤها وانتشارها برهان على الأمانة المتبادلة بينها وبين قرائها وبرهان على استنارة الشعب الانجليزى أيضا .

وهذه المكتبات هى بالطبع غير المكتبات البلدية المجانية وهى تعد بالمئات فى انجلترا وتنفق عليها المجالس البلدية وتحتوى على آلاف المجلدات الضخمة سواء منها ما يقصد منه الى الإرشاد والتعليم أو الى التسلية والاستنارة العامة .

مدارس جيرى

مدارس جيرى Gary من المدارس "الناهضة" فى الولايات المتحدة الأمريكية . وقد كثرت فى ولاية أنديانا على الخصوص . وهى تتبع نظاما جديدا فى التعليم يراد منه على الأخص زيادة الرابطة بين البيت والمدرسة لمصلحة التلاميذ والآباء معا . وكذلك إحالة المدرسة من مكان معين للتعليم فقط الى مكان للحياة الاجتماعية فى الحى الذى تقوم فيه .

ففى المدرسة مكتبة يستعملها التلاميذ وآباؤهم . وفى الليل تقام الحفلات الساهرة فى القاعات الكبرى ، فتكسب المدرسة بذلك بعض نفقاتها . وهذه القاعات تؤجر مدة الدراسة ومدة الإجازة . وترتب اجتماعات بين المعلمين والآباء . كما ترتب بين التلاميذ وآبائهم حيث تلقى الخطب من التلاميذ أو تدرس بعض المسائل الخاصة أو العامة .

وللتلاميذ أن يبقوا بالمدرسة طول النهار . فالدراسة النظامية تنتهى مثلا عند الساعة الرابعة . ولكن يمكن التلاميذ أن يبقوا الى الساعة السابعة كأنهم فى ناد يلعبون أو يأتنسون بالاجتماع . ويراد من هذا الترخيص للتلاميذ بالبقاء بالمدرسة بعد الانصراف وقايتهم من اللعب فى الشوارع أو التعرف الى خلان السوء . ويشرف عليهم مدرسون يدربونهم ويسلونهم فى هذه المدة .

وفى مدارس جيرى لا يلتزم التلميذ فصلا معينا . فقد يكون فى السنة الرابعة الابتدائية ولكنه اذا أحس تخلفا فى الحساب أمكنه أن يقصد فى حصة الحساب الى فصل السنة الثالثة حتى يحضر الدروس التى يحس الضعف فيها .

التأمين فى مصر

استنت شركة مصر لعموم التأمينات سنة جديدة هى كتابة نبذة كل يوم فى جريدتين من جرائد القاهرة تشرح فيهما قيمة التأمين وتبين فوائده للجمهور . وهى حين تفعل ذلك تنير الجمهور فى المسائل الاقتصادية العامة وتبث فيه التبصر والحذر وتحضه على الاقتصاد المنير وليس على الادخار الخام وتبين له قيمة الحرص على سعادة الأطفال فى المستقبل . وقد أخذت الحكومات المتمدنة على عاتقها مهمة التأمين للفقراء بل أحيانا للتوسطين ، ولكن شركات التأمين لا تزال قوية متعددة . وليس فى الشركات التجارية ما هو أقرب الى الصلاح فى الحياة الاجتماعية من شركة التأمين ، لأن من مصلحة شركات التأمين أن تعلم الجمهور الأخلاق الحسنة فى التبصر والتدبر . كما تعلمه الصيانة الصحية وضرورة الاعتدال فى الطعام والشراب والجهد والسلوك العام . ومن وقت لآخر نجد لهذا السبب نبذا تنشرها شركات التأمين فى الولايات المتحدة الأمريكية كالإعلانات تبين فيها للجمهور الضرر الذى يعود من الانغماس فى التدخين أو الإسراف فى الطعام أو الإهمال للأمراض المبتدئة . لأن شركة التأمين تربح بصحة الناس و بطول أعمارهم وتخسر بمرضهم وقصر أعمارهم .

والتأمينات كثيرة ومختلفة ، منها التأمين من الشيخوخة ، ومن المرض ، ومن الوفاة بل هناك تأمينات يقصد منها الى تربية الأطفال أو غير ذلك مما سوف يحتاج اليه المؤمن فى المستقبل .

أشخاص الدرامة

المسرح للتسلية ولكنه للتعليم أيضا ومن هنا قوته فى التوجيه ، لأن الناس يقصدون اليه مختارين و يرون الآراء تلقى عليهم بل تنبث فيهم عن طريق القدوة أى قدوة الممثل الفنى الذى يبذل جهده لكى يتقن دوره ويحاول إقناع المتفرجين بعدالة موقفه . فإذا كان بطل الدرامة شخصا سيئ السيرة فإن من الضرر بالمتفرجين أن يروه ممثلا فى صورة حسنة جذابة .

وفى طورنا الاجتماعى الراهن نحتاج الى الحذر . فقد رأينا درامات من أشخاصها خليلة أو بغى أو رجل فاسق وهى تمثل على مسارحنا . وتبدو هذه الأشخاص فيها كأنها مظلومة أو عابثة أو لبقة فى الحديث أو الحركة . و يمكن المتفرجين الأوربيين الذين ألفوا الثقافة المسرحية أن يسبروا الغور فى هذه الأخلاق ولا يقتنعوا بالظواهر السطحية . أما نحن فاننا لم نألف الثقافة المسرحية الى الآن ولذلك ليس من الحسن أن تعرض علينا هذه الأخلاق فى صورة التسامح إن لم نقل فى صورة الإغراء .

والمجتمع المصرى يحفل بمئات بل آلاف الشخصيات التى يمكن إبرازها على المسرح . فالمؤلف أوالمترجم لن يضيق بهذه الشخصيات . ولذلك لايمكن الاعتذار بإيجاد بغى أو خليلة أو بعرض ألوان الفسق يتفرج برؤيتها نساؤنا ورجالنا .

صناعاتنا الفنية

كانت لنا الى وقت قريب صناعات فنية محترمة يعجب بها الجمهور و يقتنى مصنوعاتها كما يرتزق بها الصناع الفنيون . وكانت تبدأ من الخط المزخرف وتنتهى الى البناء المزوق . وفيما بين ذلك الخشب الملبس بالصدف أو المصفح بالنحاس الأصفر . والوسائد الكاسية بالأدم المصبوغ . وحواجز المشربية . ونحو ذلك مما كان يقوم به النجار " الدق " الذى نوشك أن نفقده إن لم نكن قد فقدناه بإقبالنا على المصنوعات الأوربية أو برغبتنا فى الأطرزة الأوربية فى الأثاث والبناء واللباس .

ومن عجيب ما نرى فى بيوت القاهرة أن النزلاء الأجانب يقتنون مصنوعاتنا المصرية الباقية و يعرضونها مفتخرين بها فى " صالوناتهم " التى يستقبلون فيها ضيوفهم . فهناك نجد طقما من فناجين القهوة بظروف من النحاس . وتجد طستا و إبريقا كما نجد بعض المنسوجات المصرية القديمة التى تشترى من أسواقنا الوطنية . أما فى البيوت المصرية فلا نكاد نجد شيئا من ذلك لأنها تستغنى عن هذه الطرف بالإقبال على الأثاث الأجنبى أو الطراز الأجنبى حتى ولو كان الصانع مصريا .

ونعتقد أن صناعاتنا المصرية الفنية فى حاجة الى التشجيع ، وذلك بأن نقتنيها ولو على اعتبار أنها طرف العصر الماضى الذى لا ينبغى أن ننساه ونلاشيه . وقد أتيح لنا أن رأينا مصنعا صغيرا لصنع الأدوات الزجاجية بالنفخ . ولم يكن العمال على مقدار عظيم من الفنون العصرية ومع ذلك استطاعوا أن يخرجوا طستا وابريقا من الزجاج الصافى على الطراز القديم . وهما تحفة نادرة من البراعة والفن . ومن الاجحاف العظيم للفنون أن تهمل هذه العبقرية سواء من الأمة أم الحكومة .